الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَخَلِيلُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كثيرًا. أمَّا بَعْدُ ...

1- عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِنْ سَمَاحَةِ هَذَا الدِّينِ، وَلُطْفِهِ وَنُبْلِهِ وَجَمَالِهِ، أَنْ أَمَرَنَا بِأَدَاءِ حُقُوقِ الْأُبُوَّةِ وَكِبَارِ السِّنِّ، وَرِعَايَتِهِمْ، وَتَفْرِيجِ كَرْبِهِمْ، وَتَيْسِيرِ أُمُورِهِمْ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ.

2- وَأَوْلَى الْكِبَارِ بِالْبِرِّ الْوَالِدَانِ؛ قَالَ –تَعَالَى–: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا).

3- فحَقُّ الْأَبَوَيْنِ يَلِي حَقَّ اللَّهِ –تَبَارَكَ وَتَعَالَى–، وكَثِير مِنَ الْخَلْقِ يُفَرِّطُونَ فِي هَذَا الْحَقِّ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ، وَلَا يُلْقُونَ لَهُ بَالاً!! فيَعْتَدِي البعضُ مِنْهُمْ عَلَى هَذَا الْحَقِّ الْثابت، الَّذِي أمر الله به، رَبُّ الْعَالَمِينَ، وجَعَلهُ بَعْدَ الْأَمْرِ بِعِبَادَتِهِ، ويَعُقُ بهما، وَمَا أَشَدُّ العُقُوق! خاصةً بَعدَ كِبر سِنّهُمَا.

4- فَهُمَا بِحَاجَةٍ، إِلَى بِرّ الأَبْنَاءِ، وخاصةً فِي حَالَةِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ، وَالعَوزِ، وَالحَاجَةِ، وعندماَ يَصِيرَانِ عِنْدَكَ فِي آخِرِ الْعُمُرِ، كَمَا كُنْتَ عِنْدَهُمَا فِي أَوَّلِ الْعُمُرِ. قال –تعالى–: (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)؛ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أيّ كَلِمَةَ تَضْجُّرٍ، مِثْلَ: كَلِمَةِ أُفٍّ، فَضْلًا عَمَّا هُوَ أَشَدُّ مِنْهَا، وَلَا تَزْجُرْهُمَا، وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا حَسَنًا جَمِيلًا لَيِّنًا، فِيهِ تَكْرِيمٌ لَهُمَا وَتَعْظِيمٌ لِفَضْلِهِمَا.

5- قَالَ قُتَادَةُ -رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاهُ-: (إِذَا بَلَغَا عِنْدَكَ مِنَ الكِبَرِ، مَا يَبُولَانِ، فَلَا تَتَقَذَّرهُمَا، وَلَا تَقُل لَهُمَا أُفّ حِيْنَ تَمِيْطُ عَنْهُمَا الخَلَاء، وَالبَوْل، كَمَا كَانَا يُمِيْطَانَهُ عَنْكَ صغيرًا).

6- فَلَا يَتَأَفَّفَ الْإِنْسَانُ مِنْ أَبَوَيْهِ، إِذَا صَارَا إِلَى حَالٍ لَا يَتَحَكَّمَانِ فِيهَا فِي الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ، فَيَتَأَفَّفُ مِنْهُمَا مُتَضَجِّرًا! وَقَدْ كَانَا يَرَيَانِ مِنْهُ مِثْلَ ذَلِكَ، بل وَأَعْظَمَ مِنْهُ وَلَا يَتَضَجَّرَانِ، وَإِنَّمَا يَأْتِيَانِ بِهِ بِسَمَاحَةِ نَفْسٍ وَطِيبِ خَاطِرٍ، فإن في تأففك كسرةً لخواطرهما، وتنغيصًا لِلْحَيَاةِ عَلَيْهِمَا، وتكديرًا لِقُلُوبِهِم.

7- وحذَّر الإِسْلَامُ مِنَ العُقُوقِ؛ فَقَالَ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا مِنْ ذنبٍ أجدرُ أن يُعجِّلَ لصاحبِه العقوبةَ، مع ما يُدَّخرُ له في الآخرةِ، من البَغْيِ، وقطيعةِ الرَّحمِ"(رواه أبو داود، وصححه ابن مفلح وغيره).

8- عِبَادَ الله: إِنْ منْ تمَامِ الْبِر بالوَالِدِيْنِ، أَنْ تُخَاطِبْهُمَا، بِأَرَقِّ عِبَارَةٍ، كَكَلِمَة يَا أَبَتَاهُ، وَأَلْطَفُ إِشَارَةٍ، وَمَنْ تتبَّع القرآن، وَجَدَ الأَنْبِيَاءُ يُخاطِبُونَ الأَب بِعِبَارَةِ، يَا أَبَتَاهُ أَوْ يَا أَبَتِي، فَمَا أَلَذُ أَنْ يَسْمَعُهَا الأَب مِنْ ابْنِهِ؛ فَهَذَا إِبْرَاهِيْمُ الخَلِيْلُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، يُخَاطِبُ وَالدهُ، بخطابٍ واحدٍ، أَرْبَعُ مَرَّاتٍ بِعِبَارَةِ: (يَا أَبَتِ)؛ كَمَا فِيْ سُورَةِ مَرْيَم.

9- وَيُوسُف -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامِ-، يُخَاطِبُ وَالِدُهُ بـ (يَا أَبَتِ) مَرَّتَيْنِ، كَمَا فِيْ سُورَةِ يُوسف. وَإِسْمَاعِيْلُ -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-، يُخَاطِبُ وَالِدهُ فَيَقُولُ: (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)، وَهَا هِيَ الفَتَاةُ الصّالِحَةُ؛ تَقُولِ: (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ).

10-ومع ذلك: نجد من يُنادي أو يصف والده بالعجوز، أو الشايب، أو غيرها من الألفاظ، التي تدل على الفظاظة والغلظة، وسوء الأدب مع الوالدين، فعليه أن يحرص ألا ينادي والده، إلا بلفظ يا أَبَتِ، أو يا أبي، أو يا أبتاه، ولا

يناديه باسمه، ولا كنيته، فإن الجميع ينادونه بالاســـم والكُنية، ومن يناديه بلفظ الأب عدد محدود.

11-فَعَلَى كُلِّ واحدًا مِنا، أَنْ يَحْرَصَ كُلَّ الحِرْصِ، عَلَى أَنْ يَبْذِلَ غَايَةُ مَا يَبْذِلَ مِنَ البِرِّ وَالإِحْسَـانِ إِلَى وَالِدَيْهِ؛ فَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسـولِ اللَّهِ -صَـلَّى اللهُ عليه وسـلَّمَ- فَقالَ: "يا رَسـولَ اللَّهِ، مَن أحَقُّ النَّاسِ بحُسْـنِ صَـحابَتِي؟ قالَ: "أُمُّكَ"، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ"، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ"، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: "ثُمَّ أبُوكَ"(رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

12-وَمَعْ ذَلِكَ فَإِنَّنَا نَرَى مَن يُقدّم فِيْ حُسـن الصُـحبة، الأَبْنَاءَ، وَالأَدوَاجَ، بَلْ وَهُناكَ مَن يُقدم الزُّمَلَاءُ وَالأَصْـحَابُ، عَلَى وَالِديهِ، وَلَا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله، بَلْ إنْ هُنَاكَ مَنْ عَكسَ الأَمرَ، وَجَعلَ أسْوَأُ الصُحبة لِوَالدَيهِ، بَلْ والله، إنَّ هُنَاكَ مَن يَضْـرِبَ وَالِدهُ، مَعْ إِحْسَـانِهِ إِلَيهِ، وَهُنَاكَ مَنْ يَضْـرِب وَالِدَتهُ، بَلْ وهناك مَن يَتَمَنى وَفَاتَهُمَا، مِنْ أَجلِ مَتَاعُ الدُّنْيَا الزَّائِلُ، أو لِثِقْلِهِمَا عَلَيْهِ.

13-قال -تعالى-: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَـــانِ إِلَّا الْإِحْسَـــانُ)، وَلَا يَجُوزُ لِأَبْنَائِهِ وَذَوِيهِ بِحَالٍ أَنْ يُفَرِّطُوا فِي هَذَا الْوَاجِبِ، وَلَا أَنْ يَمُنُّوا عَلَى وَالِدَيْهِمْ بِهَذَا؛ فَهِيَ نَفَقَةٌ وَاجِبَةٌ وَحَقٌّ مُؤَكَّدٌ.

14-مَعَاشِـرَ الشَّـبَابِ: لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ قَطِيعَةُ الْوَالِدَيْنِ وَهَجْرُهُمَا، وَإِسْـلَامُهُمَا لِلْخَادِمِ وَالْمُرَافِقِ، ليتولوا شؤونهم أَوْ لِلْوَحْدَةِ الْمُوحِشَةِ.

15-فَالْإِنْسَانُ لَيْسَ مُجَرَّدَ مَخْلُوقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فالْإِنْسَانُ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَلَهُ أَشْـــوَاقٌ وَطُمُوحَاتٌ وَحُقُوقٌ أَدَبِيَّةٌ، وَمِنْ حَقِّ الْأَبِ وَالْجَدِّ أَنْ يَعِيشَ مَعَ أَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ.

16-وَالِاهْتِمَامُ بِمَلْبَسِـــهِمْ وَمَظْهَرِهِمْ، خَاصَّـــةً فِي أَيَّامِ الْمُنَاسَـــبَاتِ؛ كَالْأَعْيَادِ وَغَيْرِهَا؛ لِكَيْ يَظْهَرُوا بِالْمَظْهَرِ الطَّيِّبِ، وَيُشَـــارِكُوا النَّاسَ فِي فَرْحَتِهِمْ وَبَهْجَتِهِمْ،

وَأَنْ نُخَصِّـــصَ لَهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ أَمَاكِنَ لِلْعِبَادَةِ، فَنَجْعَلُ لَهُمْ مُصَـــلًّى بِفِرَاشٍ لَيِّنٍ، وَرَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، وَأَضْوَاءٍ مُنَاسِبَةٍ تُعِينُهُمْ عَلَى الْخَلْوَةِ بِرَبِّهِمْ وَمُنَاجَاتِهِ، وَأَنْ نَضَعَ لَهُمْ مُصْحَفًا كَبِيرًا يَقْرَؤُونَ فِيهِ.

17–وَمِنْ حُقُوقِهِمْ الْكَثِيرَةِ: الْعِنَايَةُ بِصِحَّتِهِمْ، وَإِعَانَتُهُمْ عَلَى الزِّيَارَاتِ الْعَائِلِيَّةِ، وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ، وزيارة الأصحاب، والجلوس معهما، إذا أتاهم الزائرون، وَالْخُرُوجُ بِهُمْ لِلْمُتَنَزَّهَاتِ؛ إِذَا أَحَبُّوا ذَلِكَ وَرَغِبُوا فِيهِ.

18–وَالتَّوْسِـعَةُ لَهُمْ فِي الِاجْتِمَاعَاتِ الْأُسَـرِيَّةِ، وَجَعْلُهُمْ فِي صُـدُورِ الْمَجَالِسِ؛ وَالْمُبَادَرَةُ بِالسَّـلَامِ عَلَيْهِمْ، وَحَثُّ الشَّـبَابِ وَالْأَطْفَالِ الصِّـغَارِ عَلَى السَّـلَامِ عَلَيْهِمْ، وَإِشْعَارُهُمْ بِوَقَارِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ.

19–وَمِنْ إِجْلَالِ الوالد والوالدة: أَنْ يَعِيشَا مَكْفُولَيْنِ فِي الْحَاجَاتِ الْمَادِّيَّةِ، وَأَنْ يُوَفَّرَ لَهُما: غِذَاؤُهُما، وَدَوَاؤُهُما، وَمَلْبَسُهُما، وَمَسْكَنُهُما، وَأَوْلَى النَّاسِ بِالِاهْتِمَامِ بِهَذَا أُسْرَتُهُ وَأَوْلَادُهُ؛ فَكَمَا رَبَّاهُمْ صِغَارًا، يَجِبُ أَنْ يَكْفُلُوهُ كَبِيرًا.

20–فَهَذَا الْبِرُّ وَالْخَيْرُ وَالْإِحْسَانُ، مِنْ أَسْبَابِ سِعَةِ الرِّزْقِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْ يُنْسَأَ لَـكَ فِي أَجَلِـكَ، وَيُبَـارَكَ لَـكَ فِي حَيَـاتِـكَ، وَتَزُولَ عَنْـكَ الْمُكَـدِّرَاتُ وَالْهُمُومُ وَالْأَحْزَانُ، وَتَنْأَى عَنْكَ الْمَصَائِبُ وَالْمِحَنُ.

21–يا أَيُّهَا الْوَلَدُ: إذا أَردْتَ أنْ تَكُونَ بَارًّا، فاحْرِصْ عَلَى مُرَاعَاةِ كِبَرِ وَالِدَيْكَ، وَتَذَكَّرْ أَنَّكَ وَإِنْ كُنْتَ قَوِيًّا الْآنَ، فَسَـتَعُودُ يَوْمًا إِلَى ضَـعْفِكَ الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ، فَلَا تَتَكَبَّرْ عَلَيْهِمَا لِأَجَلِ مَنْصِبٍ، أَوْ زَوْجَةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

22–وَبِرُّوا آبَاءَكُمْ، تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ، وَأَشْـــرِكُوهُمْ فِي الْحَدِيثِ فِي الْمَجَالِسِ بِطَرْحِ الْأَسْـئِلَةِ عَلَيْهِمْ فِيمَا يُحِبُّونَهُ وَيَرْغَبُونَهُ، وَلَا سِـيَّمَا فِي مَاضِـي حَيَاتِهِمْ، بِذِكْرِ بَعْضِ مَوَاقِفِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ الَّتِي يُسَرُّونَ بِالْحَدِيثِ عَنْهَا، وَيَكُونُ فِيهَا نَفْعٌ لِلْحَاضِرِينَ.

23–وَاحْذَر أَنْ يَدْعُو عَلَيْكَ أَحَدُ وَالِدَيْكَ؛ لِأَنَّ دَعْوَتهُ مُسْـــتَجَابَةٌ لَا رَيْبَ؛ لِقَوْلِهِ –صـلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ–: "ثَلَاثُ دعواتٍ مستجاباتٌ: دعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافرِ، ودعوةُ الوَالِد على وَلدهِ"(رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَغَيْرِهِ، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ).

24–فلْنتقِ الله –سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى–، ولْنُحسـن إِلَى الآباءِ، وَالأُمَّهَاتِ، فَوُاللهِ مَا أَنْ يُغَادِرُ أَحَدَهُمَا الدُّنْيَا، إِلَّا وَيَعُودَ العاقّ إِلَى عَقْلِهِ، وَيَنْدَمُ وَلَاتَ حِيْنَ مُندمٍ.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، وَاخْتِمْ بِالصَّالِحَاتِ آجَالَنَا.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

****

———— الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:————

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى عِظَمِ نِعَمِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَخَلِيلُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمَاً كَثِيراً . أَمَّا بَعْدُ ..... فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ– حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَجْسَادَكُمْ عَلَى النَّارِ لَا تَقْوَى.

الخطبة الثانية

25-عباد الله: لَقَدْ أَعْطَى الْإِسْـلَامُ الْكَبِيرَ حَقَّهُ مِنَ الشَّـرَفِ وَالتَّقْدِيرِ؛ قَالَ النَّبِيُّ -صـلى الله عليه وسـلم-: "لَيْسَ منَا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَـغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا"(أخرجه أبو داود وغيره، بسند صححه جمع من أهل العلم)؛ أَيْ: فلَيْسَ عَلَى سُنَّتِنَا، ولَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْكَمَالِ بِدِينِهِ.

26-فمِنْ مَكَارِمِ الْإِسْـلَامِ وَفَضَـائِلِهِ الْعَظِيمَةِ: حِرْصُـهُ عَلَى كِبَارِ السِّـنِّ، وَأَمْرُهُ بِرِعَايَتِهِمْ، وَالْقِيَامُ بِحُقُوقِهِمْ، لِتَتَحَقَّقَ الثَّمَرَةُ الْمَرْجُوَّةُ، وَهِيَ نُزُولُ الرَّحْمَةِ، وَنَيْلُ رِضَا اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَحُلُولُ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ.

27-وَكَبِيرُ السِّنِّ هُوَ مَنْ وَصَلَ إِلَى سِنِّ الشَّيْخُوخَةِ، وَأَصَابَهُ الضَّعْفُ وَالْوَهَنُ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ آثَارُ الْكِبَرِ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُ شَعْرِ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ. وَمَا مِنْ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا إِلَّا وَفِيهِ مِنْ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ رِجَالًا وَنِسَاءً.

28-عِبَادَ اللَّهِ: هَؤُلَاءِ الْكِبَارُ الْأَكَارِمُ، هُمْ أَحْبَابُنَا وَنِعْمَةٌ فِي حَيَاتِنَا، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤَدِّيَ شَـيْئًا مِنْ حُقُوقِهِمْ؛ طَاعَةً لِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَأَدَاءً لِشَـيْءٍ مِنْ إِحْسَانِهِمْ وَفَضْلِهِمْ، وَرَدًّا لِجَمِيلِهِمْ فِيمَا مَضَى.

29-ورِعَايَةُ الْمُسِـنِّينَ مِنْ هَدْيِ الْمُرْسَـلِينَ -عَلَيْهِمُ الصـلاة والسَّـلَامُ؛ إذ لَمَّا دخَلَ -صَـلَّى اللهُ عليهِ وَسَـلَّمَ- مَكَّةَ فَاتِحًا مُنْتَصِـرًا، وَإِذَا بِأَبِي بَكْرٍ -رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ- آخِذ بِيَدِ أَبِيهِ أَبِي قُحَافَةَ، ذَلِكَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ، يَسُوقُهُ إِلَى النَّبِيِّ -صَـلَّى اللهُ عليهِ وَسَـلَّمَ-، فَلَمَّا رَآهُ -صَـلَّى اللهُ عليهِ وَسَـلَّمَ- قَالَ: "أَلَا تَرَكْتَهُ حَتَّى نَكُونَ نَحْنُ الَّـذِي نَأْتِيـهِ"، فَقَـالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ: هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَأْتِيَكَ.(رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ).

30–وقال –صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ–: "أَرَانِي أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءَنِي رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ الْآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ مِنْهُمَا"(رَوَاهُ البُخَارِيُّ).

31–وقَالَ –صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ–: "إنَّ من إجلالِ اللَّهِ: إكرامَ ذي الشَّيبةِ المسلمِ"(رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَغَيْرِهِ، وجوّد إِسْنَادهُ ابنُ مفْلِح).

32–فإِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ؛ ومِنْ تَبْجِيلِهِ وَتَعْظِيمِهِ –جَلَّ وَعَلَا– إِكْرَام ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ بِتَوْقِيرِهِ فِي الْمَجَالِسِ، وَالرِّفْقِ بِهِ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ كَمَالِ تَعْظِيمِ اللَّهِ –تَعَالَى–؛ لِحُرْمَةِ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ عِنْدَ اللَّهِ.

33–ثُم إِنَّ هَذَا الْحَقَّ يَعظُمُ وَيَكْبُرُ مِنْ جِهَةِ مَا يَتَنَاوَلُهُ؛ فَإِذَا كَانَ قَرِيبًا فَلَهُ حَقُّ الْقَرَابَةِ مَعَ حَقِّ كِبَرِ السِّنِّ، وَإِذَا كَانَ الْكَبِيرُ أَبًا أَوْ جارًا، جَدًّا فَالْحَقُّ أَعْظَمُ.

34–وَهَذِهِ الْحُقوقُ إِنَّمَا هِيَ بَعْضٌ مِمَّا كَفَلَهُ الإِسْلَامُ لَهُمْ، فَلَا يُوجَدُ دِينٌ اعتَنَى بِحُقُوقِ الشُّيُوخِ وَكِبَارِ السِّنِّ كَمَا اعتَنَى بِهَا هَذَا الدِّينُ.

35–فَالإِسْلَامُ يُعْنَى بِالْإِنْسَانِ طِفْلاً، وبِهِ صَبِيًّا، وبِهِ شَابًّا، وبِهِ كَهْلًا، وَيُعْنَى بِهِ شَيْخًا، إِنَّه يَمْضِي مَعَ الْإِنْسَانِ فِي رِحْلَةِ حَيَاتِهِ كُلِّهَا، مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ، مِنْ صَرْخَةِ الْوَضْعِ إِلَى أَنَّة النَّزْعِ، يُشَرِّعُ لِهَذَا الْإِنْسَانِ، وَيُوَجِّهُهُ فِي جَوَانِبِ حَيَاتِهِ كُلِّهَا.

36–فَإِذَا أَكْرَمْتَ شَيْخًا وَأَنْتَ شَابٌّ، جَازَاكَ اللَّهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِكَ؛ فَهَيَّأَ لَكَ وَأَنْتَ شَيْخ مَن يُكرِمُكَ وَأَنْتَ فِي حَاجةٍ إِلَى الإِكرامِ، هَذِهِ الْأُمُورُ كَمَا يَقُولُ النَّاسُ "سَلَفٌ"؛ الْبِرُّ سَلَفٌ، وَالْعُقُوقُ سَلَفٌ، بِرُّوا آبَاءَكُمْ، تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ.

37–قَالَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْمَدَنِيّ –رحمنا الله وإياه–: "بَلَغَنَا أَنَّ مَنْ أَهَانَ ذَا شَيْبَةٍ لَمْ يَمُتْ حتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ يُهِينُ شَيْبَتَهُ إِذَا شَابَ".

38–عِبَادَ الله: إن مِنَ أعظم الْآثَارِ بِإِكْرَامِ كِبَار السِنّ، رِضَا الله، والفَوزُ بالجَنة، وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، ومَا يُصِـيبُكَ مِن دَعوةٍ طَيِّبَةٍ لَكَ مِن رَجُلٍ شَـابَتْ لِحْيَتُهُ فِي الْإِسْلَامِ رُبَّمَا سَعِدْتَ بِهَا فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ.

39–وَقَدْ أَصْـدَرَتِ الدَّوْلَةُ –وَفَّقَهَا اللهُ– نِظَامَ حُقُوقِ كَبِيرِ السِّـنّ وَرِعَايَتِهِ؛ وَاعْتَبَرَتْ كُلَّ مُوَاطِنٍ بَلَغَتْ سِنُّهُ "سِتِّينَ" كَبِيرًا فِي السِّنّ.

40–وَيُحْفَظُ لَهُ مَالُهُ مِنْ حُقُوقٍ شَـرْعِيَّةً كَانَتْ أَو نِظَامِيَّةً بِمَا فِي ذَلِكَ حُقُوقُهُ المَالِيَّةُ والجَسَـدِيَّةُ والِاجْتِمَاعِيَّةُ والْمَعْنَوِيَّة، وَتَوْفِيرُ الْحَاجَاتِ الضَّرُوْرِيَّةِ اللَّازِمَةِ مِنْ سَكَنٍ وَمَأْكَلٍ وَمَلْبَسٍ وَعِنَايَةٍ صِحِّيَّةٍ وَجَسَدِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ وَتَرْوِيحِيَّة.

41–وَتَمْكِينُ كِبَارِ السِّـنّ مِنَ الْعَيْشِ فِي بِيْئَةٍ تَحْفَظُ حُقُوقَهُمْ وَتَصُـونُ كَرَامَتَهُمْ، وَلِكَبِيْرِ السِّنّ حَقُّ الْعَيْشِ مَعَ أُسْرَتِهِ، وَعَلَيْهَا إِيْوَاؤُهُ وَرِعَايَتُهُ، وَتَكُوْنُ الْمَسْؤُولِيَّةُ فِي ذَلِكَ عَلَى أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ وَفْقًا لِلتَّسَلْسُلِ.

42–وَلَا يَجُوزُ لِدُورِ الرِّعَايَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ لِكَبِيْرِ السِّـنّ إِيْوَاءُ كَبِيْرِ السِّـنّ فِيْهَا إِلَّا بَعْدَ مُوَافَقَتِه، أَوْ بَعْدَ صُـدُوْرِ حُكْمٍ قَضَـائِيٍّ بِذَلِك، أَو فِي الْحَالَاتِ الَّتِي تُشَـكِّلُ خُطُورَةً عَلى حَيَاةِ كَبِيْرِ السِّـنّ أَوْ سَـلَامَتِهِ وَفْقَ ضَـوَابِطَ، وَإِعَالَةِ كَبِيْرِ السِّـنّ الْمُحْتَاجِ عَلَى الزَّوْجِ أَو الزَّوْجَةِ إِنْ رَغِبَتْ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

43–وَلَا شَـكَّ أَنَّ حِفْظَ حُقُوقِ كِبَارِ السِّـنّ؛ وَاجِبٌ شَـرْعِيٌّ وَخُلُقٌ إِسْـلَامِيٌّ، وَوَاجِبٌ نِظَامِيٌّ؛ فالشَّـرِيعَةَ جَاءَتْ بِحِفْظِ حَقّ الْكَبِيرِ حَتَّى مَعَ غَيْرِ الْمُسْـلِمِين، فَهَا هُوَ الْفَارُوقُ –رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَـاهُ–؛ أَبصر شَـيْخاً كَبِيْراً مِنْ أَهْلِ الذِمَّةِ يَسْـأَلُه، فَقَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: لَيْسَ لِي مَال، وإِنَّ الجِزْيَةَ تُؤخَذُ مِنِّي، قَالَ فَمَا أَجَأَكَ إِلَى مَا أَرَى؟ قَالَ: أَسْأَلُ الجِزْيَة وَالحَاجَةَ وَالسِّنّ.

44–فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ وَأَعْطَاهُ مِمَّا وَجَدَهُ، ثُمَّ أَرْسَـلَ بِهِ إِلَى خَازِنِ بَيْتِ المَالِ، وَقَالَ لَهُ: انْظُر هَذَا وَضُـربَاءَهُ، وَاللَّهِ مَا أَنْصَـفْنَاهُ، إِنْ أَكَلْنَا

شَـبِيبَتَهُ، ثُمَّ نَخْذُلُهُ عِنْدَ الْهَرَمِ، أَوْ نَأخُذُ مِنْهُ الجِزْيَة عِنْدَ كِبَرِه، قَالَ –تَعَالَى–: (إِنَّمَا الصَّـــدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَـــاكِينِ)، وَالفُقَرَاءُ هُمْ الفُقَرَاءُ المُسْـــلِمُونَ، وَهَذَا مِنَ المَسَاكِيْن مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ وضَع عَنْهُ الجِزْيَة وَعَنْ ضُرَبائه"(رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدَة فِي كِتَابِ الخَرَاجِ).

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا بِحِفْظِكَ، وَوَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا، وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى؛ وَاحْفَظْ لِبِلَادِنَا الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ، وَالسَّلَامَةَ وَالْإِسْلَامَ، وَانْصُرِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى حُدُودِ بِلَادِنَا؛ وَانْشُرِ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ امْدُدْ عَلَيْنَا سِتْرَكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا النِّيَّةَ وَالذُرِّيَّةَ وَالْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيِّينَ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ عَامِلْنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَلَا تُعَامِلْنَا بِمَا نَحْنُ أَهْلُهُ, أَنْتَ أَهْلُ الْجُودِ وَالْكَرَمِ، وَالْفَضْلِ والإِحْسَانِ, اللَّهُمَّ اِرْحَمْ بِلَادَكَ, وَعِبَادَكَ, اللَّهُمَّ اِرْحَمْ الشُّيُوخَ الرُّكَّعَ، وَالْبَهَائِمَ الرُّتَّعَ اللَّهُمَّ اِسْقِنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا، اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا، يَا ذَا الجَلَالِ، والإِكْرَامِ, يَا ذَا الجَلَالِ، والإِكْرَامِ، أَكْرِمْنَا وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ, اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ, اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا هَنِيئًا مَرِيئًا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا هَنِيئًا مَرِيئًا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا هَنِيئًا مَرِيئًا. سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا

يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَقُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمْكُمُ اللهُ.